الصُّورَةُ التّكامُليَّة
بينَ مَقامِ السَّيدَة الزَّهراء عليها السلام
وَفلسَفةِ تسميَتِها فيْ فِكرِ المعْصُومْ عليه السلام
الإمامِ الصّادقْ عليه السلام أنمُوذَجاً

Portrayal of Totality between the Niche of Fatima Al-Zahra Peace be upon her and the Philosophy of Her Name in the Mindset of the Infallible Imam Al-Sadiq peace be upon him

أ. د. حَمِيْد سِرَاج جَابِرْ

جامعة البصرة . كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

Prof. Dr. Hameed Siraj Jabir

Department of History

College of Education for Humanist Sciences

Basra University

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

الدراسة التي بين أيدينا تبحث في مقام الزهراء ﷺ وصلة ذلك بتسميتها فيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، وهو يعكس الصورة التي يرى بها أئمة أهل البيت ﷺ جدتهم سيدة نساء العالمين ﷺ ببيان مقامها وأسباب تسميتها، وهي ليست مجرد أسباب وإنما هي فلسفة سببية دالة على ذلك المقام، أو بصورة أخرى دراسة التكامل بين المقام والتسمية من حيث الدلالة والانعكاس.

ABSTRACT

The current study delves into what Imam Al-Sadiq broaches about Al-Zahra concerning her niche and the philosophy of her name. It is the manipulation of an infallible imam reflecting the grandmother, the lady of ladies in the universe, a portrait the Ahalalbayt Imams ponder over and justify her niche and name. They are not mere reasons, yet it is a causative philosophy designating such a nexus between the niche and the name in light of semantics and connotation.

... المقدمة ...

من البداهة القول إن أحاديث أئمة أهل البيت ﷺ في السيدة الزهراء ﷺ تختلف من حيث الشكل والمضمون عن طرح من دونهم، غير أن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال الدعوة لترك الكتابة في سيدة نساء العالمين ﷺ لاسيما دراسة أقوال الأئمة ﷺ في حقها فهم مصدر أساس للمعلومة عنها ﷺ. وما نقصده هنا أن أئمة أهل البيت ﷺ تعاملوا مع الأمور على وفق المبدأ والهدف المبتغى من المطروح، لا على وفق منطلق يتأثر بالإيديولوجية السلبية والإيجابية بالنسبة للمادة، أو يتأثر بالأدوات التي يستخدمها الباحث وهي أدوات تختلف من شخص لآخر، ومن ثم فإن هناك اختلافات مادية ومعنوية بين الطرحين تصب في النهاية لصالح طرح الأئمة ﷺ ومنه لصالح البحث العلمي. ما يعنينا هنا هو دراسة هيكلية متكاملة عن الزهراء ﷺ في طرح أحد الأئمة ﷺ لأن هذه الهيكلية غير المشوبة بمعلومات خارجية قد توصلنا إلى أمور عدة:

١. دراسة هدف المادة إلى جانب مضمونها العلمي فطرح الأئمة ﷺ كما أسلفنا له هدف ومضمون.

٢. التكامل والترابط في المادة المطروحة لأنها ضمن سلسلة واحدة ومن منبع واحد ولهدف واحد.

٣. المصداقية التي تعتمد بالأساس على شخصية الطارح للمادة، وبالتأكيد فإن كون الإمام المعصوم عليه السلام هو صاحب الطرح فأن ذلك يرسم صورة المصداقية بأبهى شكل، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا المنطق ينطبق على ما يثبت صدوره من الإمام المعصوم وفق السياقات العلمية المعتمدة.

الدراسة التي بين أيدينا تبحث في طرح الإمام الصادق عليه السلام عن الزهراء عليها السلام بخصوص مقامها وكذلك فلسفة تسميتها، وهو طرح معصوم يعكس الصورة التي يرى بها أئمة أهل البيت عليهم السلام جدتهم سيدة نساء العالمين عليها السلام ببيان مقامها وأسباب تسميتها، وهي ليست مجرد أسباب وإنما هي فلسفة سببية دالة على ذلك المقام ومكملة له، أو بصورة أخرى دراسة التكامل بين المقام والتسمية من حيث الدلالة والانعكاس.

أولا: مقام السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في فكر الإمام الصادق عليه السلام

١) الترابط بين المقام الدنيوي والأثر الأخروي

ليس من الغريب أن نجد مقامات الزهراء عليها السلام في الدنيا مؤسسة ومؤثرة في مقامها الأخروي ولاسيما أن أهل البيت عليهم السلام دائما كانوا يؤكدون أن الدنيا مزرعة الآخرة وهو الأمر الذي أرادوا به تربية المجتمع، ومن هنا طرح الإمام الصادق عليه السلام هذا المفهوم في حياة الزهراء عليها السلام، وبالخصوص في مقامها الذي تجسد في اقترانها بأمير المؤمنين علي عليه السلام، وأثره الأخروي على محبيها ومبغضيها كثمرة من ثمرات هذا الزواج، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال ((**إن الله (تعالى) أمهر فاطمة عليها السلام ربع الدنيا، فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار، تدخل أعداءها النار، وتدخل أولياءها الجنة، وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُوَل**))[1].

إن قراءة دقيقة لما ذكره الإمام الصادق عليه السلام تضعنا أمام عدة تصورات واقعية يمكن إجمالها بما يأتي:

١. الربط بين المفهوم المادي والمفهوم المعنوي للمهر، وهو ما يمكن أن يكون متناغما مع جميع المهور بأثرها المادي والمعنوي، إلا انه مختلف من حيث كونه يمثل بعدي الدنيا والآخرة بخصوص الزهراء عليها السلام، بينما يتعلق الأثر المعنوي للمهر المعروف بجنسه المادي ولا يمكن أن يتجزأ المادي إلى جزأين كما هو مع مهر الزهراء فجزء منه أخروي يقوم على إدخال محبيها الجنة ومبغضيها النار. وقد قيل إن فاطمة عليها السلام سألت النبي صلى الله عليه وآله أن يكون صداقها[٢] شفاعة لأمته يوم القيامة، فإذا صارت على الصراط طلبت صداقها. وهذا المنطق يتناغم تماما مع مقام السيدة الزهراء عليها السلام التي ربطت بين اقترانها بسيد الوصيين عليه السلام والشفاعة لشيعتها وهم أمة الرسول صلى الله عليه وآله، فالطلب إن صح بشكله المادي هذا، أو حتى إن لم يكن على شكل طلب من الزهراء عليها السلام فهو حقيقة واقعة ومترتبة على ذلك المقام، ولعلنا حينما نرى ثمرة هذا الاقتران المقدس نجد أنها المقياس الذي يقاس عليه المحب من المبغض لأهل البيت عليهم السلام ونقصد الحسن والحسين عليهما السلام وهما تمام أصحاب الكساء، فمبغضهم تدخله الزهراء النار ومحبهم تدخله إلى الجنة، وهذه النتيجة التكاملية تثبت أن مفهوم الصداق المتحقق أخرويا في قضية الزهراء هو أمر مفروغ منه، لأنه ارتبط بأساس قرآني لقوله تعالى ﴿**قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾[٣] وأساس لقوله صلى الله عليه وآله ((**فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن غاظها فقد غاظني ومن سرها فقد سرني**))[٤] وقوله صلى الله عليه وآله ((**الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني**))[٥] هذا فضلا عما ورد بخصوص الإمام علي عليه السلام مثل قوله صلى الله عليه وآله ((**لا يبغضك إلا منافق ولا يحبك إلا مؤمن**))[٦]. وينبغي أن لا يفهم الأمر على أنه فرض وقرار من الزهراء عليها السلام ومن ثم الرسول صلى الله عليه وآله دون النظر إلى المشيئة الإلهية في هذا المقام الأخروي فمثلما زوّج الله تعالى النورين فأن عاقبة

هذا الزواج أو آثاره الأخروية هي محددة بأمر الله تعالى، ولكن مع ذلك يمكن أن نطلع على نص مباشر يبين أن الزهراء عليها السلام طلبت من أبيها صلى الله عليه وآله أن يدعو الله بذلك إذ ورد قولها له صلى الله عليه وآله ((... **وتدعوا لله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمتك، فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أمة أبيها، فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة أمة أبي**))[٧]. وما يهمنا من هذه الرواية هو التأكيد أن الأمر يتعلق بالدعاء للباري عز وجل أن يشفع الزهراء في الأمة يوم القيامة وهو أثر تكاملي مترتب على قيمة مهرها عليها السلام ومقامها في الدنيا بزواجها من الإمام علي عليه السلام.

٢. إن المراد من القرون هي قرون جميع الأنبياء والأوصياء وأممهم من آدم فمن دونه حتى خاتم الأنبياء (صلى الله عليهم أجمعين) يعني مابعث الله عز وجل أحدا من الأنبياء والأوصياء حتى أقروا بفضل الصديقة الكبرى ومحبتها[٨] وقد ذكر أئمة أهل البيت عليهم السلام مكانة الزهراء عليها السلام وأفضليتها عند الأمم الماضية وكيف أن الله تعالى قد بين مقامها عند السالفين[٩].

٣. أشار الإمام عليه السلام إلى أن الزهراء عليها السلام هي الصدّيقة الكبرى لكي يميز ويؤكد أفضليتها ومقامها بالنسبة لمن عرفن بالفضل لذا قال (الكبرى) ولم يكتف بالصديقة وهو من أسمائها عند الله كما سيمر.

٢) أسماء الزهراء عليها السلام عند الله تعالى مصداق مقاماتها

ذكر الإمام الصادق عليه السلام مجموعة أسماء للزهراء عليها السلام تمثل مقاماتها عند الله تعالى إذ قال عليه السلام: ((**لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة، والصديقة،**

والمباركة، والطاهرة، والزكية، والرضية، والمرضية، والمحدثة، والزهراء))[١٠]. وقد ورد اسم الراضية بدل المرضية عند بعضهم[١١] وكذلك المذوبة بدل الصديقة[١٢]. والذي يطالع هذه الأسماء التي ذكرها الإمام عليه السلام يجد أنها ناطقة بجملة أمور فضلا عن الفكرة الأساس منها وهي مقام السيدة الزهراء عليها السلام، وهذه الأمور هي:

١. إن قول الإمام عليه السلام هذا هو ترجمة فعلية لما مرّ سابقا بخصوص مقام الزهراء عليها السلام، ويمكن أن يكون مكملا له ودالاً عليه.

٢. إن هذه الأسماء توحي بمقامات متعددة ومتكاملة في الوقت نفسه، فاسم فاطمة اندمج بالأسماء الدالة على صفاتها عليها السلام مما يعني أن هذا الاسم يحمل كل الأسماءأو الصفات الأخرى المتعلقة بتلك الأسماء.

٣. إن وصف الإمام عليه السلام هو أكبر من مجرد وصف وإنما هو جواب لأحداث عدة ولأسئلة كثيرة تخص حياة الزهراء عليها السلام.

٤. إن هذا العدد من الأسماء قد يحمل دلالات معنوية لا يتأتى للباحثين إدراك كنهها وإنما نستطيع القول في الأقل إنها تمثل مقاما إضافيا للزهراء عليها السلام.

٣) معرفة فاطمة عليها السلام إدراك للخيرات

هناك الكثير مما قيل في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وبما يبين مقاماتها الكثيرة، ومنها ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام متناغما مع ما مّر من أسماء مقاماتها الإلهية، غير أن الإمام عليه السلام ولكي يكمل الهدف والهيكلية مما يطرحه عن الزهراء عليها السلام نجده بحسب ما ذكره فرات الكوفي في تفسيره، يذكر لنا مقاما جديدا صوره القرآن الكريم فهو عليه السلام يذكر أن قول الله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[١٣] يتعلق بالزهراء عليها السلام فالليلة: فاطمة، والقدر: الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر[١٤].

وقد يعترض معترض على هذا التفسير المباشر الذي لم تذكره التفاسير الأخرى، وإن كان قد ورد في بعضها وفي مصادر أخرى، وربما نتفق من هذه الناحية على عدم وجود مثل هذا الطرح المباشر في التفاسير الأخرى، إلا أن ما يعنينا هنا أن ندرس مفهوم هذا التفسير ومدى انطباقه على مقامات الزهراء ﷺ، فتارة يكون تفسير الآية بهذا الشكل يخالف المعروف عن تلك المقامات وتارة أخرى يكون التفسير يتواءم ويتناغم معها وهناك اختلاف بين الأمرين، فما نقل عن الإمام عليه السلام من النوع الثاني الذي يتواءم مع مقامات الزهراء ﷺ ويمكن ملاحظة ذلك من جملة أمور:

١. إن معرفة الزهراء ﷺ ومقامها هو كما أسلفنا سير في طريق الحق، وهذا قد عكس في ذلك التفسير أيضا.

٢. لا ريب أن إدراك ليلة القدر يتم وفق شروط وكمالات يصلها الإنسان، والثابت أن ولاية أهل البيت ﷺ أحدها وجزء مهم منها فاطمة الزهراء ﷺ.

٣. إن الآية تشير إلى القرآن الكريم ولكن لا ينبغي أن نفهم أن المقصود هو الكلام المجرد، وإنما مع معانيه ودلالاته التي مثلتها مصاديق عدة كانت الزهراء ﷺ إحداها.

٤. محصلة القول ونتيجته أن معرفة فاطمة ﷺ وأئمة الهدى ﷺ هي معرفة الله تعالى.

٤) تحريم ذريتها ﷺ على النار

من الأمور الأخرى التي طرحها الإمام الصادق عليه السلام في بيان مقامات الزهراء ﷺ ما ذكره في بيان معنى قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ﴾[١٥] إذ قال عليه السلام ((... **إن فاطمة لعظمها على الله حرم الله ذريتها على النار، وفيهم نزلت...فإما الظالم لنفسه**

فالذي لا يعرف الإمام عليه السلام والمقتصد العارف بحق الإمام عليه السلام، والسابق بالخيرات هو الإمام عليه السلام))[١٦]. والكلام بمعنى آخر هو عن معرفة حق الإمام عليه السلام من عدمه أي الإيمان بذلك فالظالم لنفسه منا حسب تعبير الرواية هو من لا يعرف حق الأمام عليه السلام والمقتصد منا من يعرف حق الإمام عليه السلام والسابق بالخيرات هو الأمام عليه السلام وهؤلاء كلهم مغفور لهم[١٧] وهذه المغفرة هي التي تعنينا لأنها تتعلق بما أشرنا إليه من مقام للزهراء عليها السلام وهو أن الله تعالى حرّم ذريتها على النار.

وينبغي أن نرد الإشكالات التي قد تطرح على هذا الأمر ولا سيما ما يخص المغفرة المطلقة والتي ربما تتعارض مع الناموس الشرعي والطبيعي، فقد أكدت الشريعة أن العمل هو أساس الجزاء فكيف نطابق بين هذا الأمر وما ذكر عن ذرية الزهراء عليها السلام.

وهنا يجب أن نوضح أن الإطلاق لم يكن حاضرا في هذا المقام وإنما بالشرط والشروط، فلا يعني هذا الكلام أن الضال المضل من تلك الذرية تنطبق عليه هذه الآية والمفهوم وإنما ما عداه فقط، ففي قول ثانٍ عن الإمام عليه السلام وكأنه يعالج ما قد يثار حول هذه المسألة وحينما سئل عنها وقيل له إنها لولد فاطمة عليها السلام خاصة فقال **((أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة عليها السلام فليس بداخل في هذه الآية قيل من يدخل فيها؟ قال الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى والمقتصد منا أهل البيت العارف حق الإمام عليه السلام والسابق بالخيرات الإمام عليه السلام))**[١٨]. والأمر المهم الذي ربما لم يتوضح بما ورد من المعنى الذي ذكره الإمام الصادق عليه السلام هو ما يتعلق بالمصطفين الذين ذكروا في الآية الكريمة وهم آل محمد صلى الله عليه وآله كما أكدت التفاسير[١٩] وبهذا يكون من السهل فهم ما أراده الإمام عليه السلام من بيانه لذلك المعنى، إذ إن هذه الذرية جاءت بالآية نفسها بعد أئمة أهل البيت عليهم السلام فيكون

ذلك التقسيم لإكمال الصورة ولبيان مقام الزهراء ﷺ. وبالمحصلة النهائية بعد بيان أن المصطفين هم أئمة أهل البيت ﷺ فأن ما تلاهم من ذرية فاطمة بحسب ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام ينقسم على أقسام:

١. الظالم لنفسه: وهو من آل محمد صلى الله عليه وآله غير الأئمة ممن لا يدعو الناس للضلال[٢٠].
٢. المقتصد:وهو المقرب الإمام عليه السلام.
٣. السابق بالخيرات بإذن الله وهو الإمام عليه السلام.

لذا فقد كانت العاقبة التي أشرنا إليها هي تحريم هذه الذرية على النار وهو ما أشار له الإمام الصادق عليه السلام صراحة في مقامات الزهراء ﷺ، ومن هنا ورد قوله تعالى في تلك العاقبة ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٢١] فتكون الآيات بالتتابع ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٢٢].

٥) عدم وجود كفء لفاطمة ﷺ

آثرنا أن نؤخر هذا المقام وأن لا نضمنه بما ذكرناه عن مهرها سابقا لكونه يمثل استقلالية وخصوصية وله من الدلالات الكثيرة التي أراد الإمام الصادق عليه السلام الإشارة إليها حينما قال عن فاطمة ﷺ **((لولا أن أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها لما كان لها كفء على وجه الأرض إلى يوم القيامة، آدم فمن دونه))**[٢٣]. وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله من مكانتها[٢٤]. وقد طرح الإمام الصادق عليه السلام الأمر هنا لبيان المقام العالي للإمام علي ولفاطمة ﷺ، فلم يكن الأمر متعلقا بالبشر مع علو مقامهم وإنما هو أمر

ووصف إلهي، وكان هذا هو رد الرسول ﷺ حينما عاتبه رجال قريش فعن علي عليه السلام قال: ((**قال لي رسول الله ﷺ: يا علي لقد عاتبتني رجال قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت عليا فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته بل الله تعالى منعكم وزوجه فهبط عليَّ جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليا عليه السلام لما كان لفاطمة ابنتك كفء على وجه الأرض آدم فمن دونه**))[٢٥]. ومعلوم أن جواب الرسول ﷺ لرجال قريش لا يعني أنه رافض لتزويجها من الإمام علي عليه السلام وإنما أراد أن يوصل لهم عدداً من الرسائل:

١. إن لعلي بن أبي طالب عليه السلام مقاماً عند الله تعالى لن يصل إليه أحد منكم.
٢. أنكم لستم على درجة أن تكونوا كفؤاً لفاطمة عليها السلام.
٣. إن زواج السيدة الزهراء عليها السلام يمثل مرحلة إعداد لمستقبل الدين الإسلامي لذا فإن الذي يتحكم به الأوامر الإلهية فقط.

ومعنى قول الإمام الصادق عليه السلام ((**لما كان لها كفء على وجه الأرض إلى يوم القيامة، آدم فمن دونه**)) هو أن فاطمة عليها السلام أفضل من آدم فمن دونه مع قطع النظر عن حرمة النكاح أو حله،فلا يرد أنها عليها السلام كانت حراما على آدم عليها السلام وإذا كانت هي عليها السلام أفضل من الرجال كانت أفضل من النساء أيضا[٢٦]. وهذا أيضا ربط بين مقامها الدنيوي ومقامها الأخروي، فكل مقاماتها عليها السلام تكاملية وهو الأمر الذي سنلمسه بشكل واضح مع فلسفة تسميتها وتكامل ذلك مع مقاماتها التي ذكرناها.

ثانيا: فلسفة تسمية فاطمة الزهراء عليها السلام

قد يكون الظاهر والواقع أن الاسم واللقب في الظروف والبيئات الطبيعية هو علامة ودلالة وربما معنى إجمالي يعكس المحبة أو الشكل والصورة أو ما إلى ذلك من

أمور، إلا إنه مع السيدة فاطمة الزهراء ﷺ يمثل دلالات مختلفة تماما فهي دلالات ومقامات إلهية، صورها وبينها الإمام الصادق عليه السلام ليوصل الناس إلى حقيقتها ليحقق الهدف منها، لذا فإن فلسفة تسمية فاطمة الزهراء ﷺ بجزأيها (فاطمة) (الزهراء) تمثل صورة تكاملية مع مقاماتها المتعددة بشكل كاشف عن هدف الصادق عليه السلام في بيانها، إذ وردت الكثير من المعاني التي طرحها الإمام عليه السلام عن معنى فاطمة الزهراء ﷺ، وتعدد هذه المعاني والدلالات لا يعني صحة احدها وعدم صحة الآخر بقدر ما يعني التكاملية والترابط فجميعها دالة على مقامات السيدة الزهراء ﷺ، ويمكن دراسة هذه الفلسفة إجمالا كما طرحها الإمام عليه السلام بالآتي:

١) فلسفة تسميتها فاطمة ودلالاتها في مقامها

إن لتسمية السيدة فاطمة ﷺ بهذا الاسم دلالات على مقامها بل إن هذه التسمية جزء من الصورة التكاملية مع ذلك المقام ويمكن أن نفهم هذا الأمر من الفلسفة التي حددها الإمام الصادق ﷺ والتي جاءت على النحو الآتي:

أ: فطمت من الشر: وهذه الفلسفة تخرج عن المسمى اللفظي لمصطلح (الشر) وتدخل في إطاره المعنوي الشامل الذي لا يتحدد بصورة معينة من الأفعال المعاكسة للخير والحق عموما إذ قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: ((**تدري لأي شئ سميت فاطمة؟ قلت: أخبرني يا سيدي، قال: فطمتمن الشر**))[٢٧]. وبالتأكيد فإن الفطام هو القطع[٢٨] ولا نعتقد بأن هذا الطرح يحتاج إلى تعليق أكثر من الإشارة إلى أن اسم فاطمة ﷺ وحسب هذه الفلسفة يمثل رداً على من حاول تغليب أفكار بعض المتسلطين بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله، وتصحيح تصرفاتهم مع السيدة الزهراء ﷺ غير أن فطامها عن الباطل ولزومها للحق يخرس الألسن ويعيد الحق إلى نصابه.

ب: الخلق فطموا عن معرفتها: تمثل هذه الفلسفة أمراً واقعاً من الناحية المعنوية والوصفية، فقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام إنها سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها[٢٩]. وهذه الفلسفة التكاملية مع مقاماتها عليها السلام توحي بجملة أمور:

١. إن عدم المعرفة قطعي لذا اصطلح عليه الإمام عليه السلام بالفطام وهو القطع كما أسلفنا.

٢. في الوقت الذي توحي به هذه الفلسفة بالانحدار العقائدي عند الناس واستحالة معرفتهم لمقام فاطمة عليها السلام، فإنها توحي بعظم ذلك المقام أيضا.

٣. قد تعكس هذه الفلسفة إطارا ماديا يمثل الواقع لما حدث بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وكيف ظلمت الأمة فاطمة عليها السلام وانحدرت ذلك الانحدار الذي يدل على عدم معرفتهم بالزهراء عليها السلام ومقامها، ومن ثم كيف حرموا من بركاتها وشفاعتها وتشييعها قبل ذلك[٣٠].

٢) فلسفة تسميتها بالزهراء

ارتبط هذا الاسم بدلالات وفلسفات لا تختلف عما ذكرناه عن اسم فاطمة إلا أنه قد يكون مفصلا ومتشعبا بعض الشيء كما طرحه الإمام الصادق عليه السلام من حيث فلسفته السببية:

أ: لأن الله تعالى خلقها من نور عظمته: إن هذه الفلسفة تتناغم في الطرح مع ما مرّ من أمور إذ إن لها ما يعضدها مما سلف ويمكن إجمال الأفكار المعضدة لهذا الطرح بما يأتي:

١. أن للزهراء ﷺ مقامات لا يمكن أن يعرفها الخلق، وهنا لابد أن يكون الخالق جل وعلا خلقها من نور عظمته حتى تكون لها هذه المقامات الإلهية.

٢. أنها مقطوعة من الباطل ومحددة بمسار الخير والحق وهو المسار الإلهي، وهذه من صفات نور العظمة الإلهية على أهل بيته ﷺ.

٣. إنها اختصت بالأسماء الإلهية التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام والتي مرت علينا وهذا الاختصاص يؤكد ويعضد النور الإلهي.

وقد بيّن الإمام الصادق عليه السلام فلسفة تسميتها بالزهراء حينما سئل: لم سميت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال عليه السلام: **لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة ساجدين وقالوا: إلهنا وسيدنا ما لهذا النور فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري أسكنته في سمائي خلقته من عظمتي أخرجه من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري يهدون إلى حقي واجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي**[٣١].

وقد عرفت كل هذه المراحل في حياة الزهراء وأئمة أهل البيت ﷺ فهي ليس من باب الاستغراب أو التعجب بل دالة ومكملة لتلك الفلسفة ويمكن دراسة تلك المراحل التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام تعضيداً لهذه الفلسفة بما يأتي:

١. إن طينة الزهراء ومن ثم أهل البيت ﷺ خلقت من نور عظمة الله تعالى.

٢. إن نورهم يغلب على كل المخلوقات ومنها الملائكة.

٣. تأكيد أصل من أصول الدين وهو النبوة وبالخصوص خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وأفضليته.

٤. الإمامة مرحلة تالية للنبوة بأئمة هداة هم جزء من هذا النور.

ب: **لأن نورها يزهر في محرابها لأهل السماء**: هذه الفلسفة تكاد تكون مرتبطة بالفلسفة السببية السابقة وهي النور الإلهي عند فاطمة عليها السلام إذ نقل عن أحد صحابة الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لم سميت الزهراء؟ فقال عليه السلام: **لأنها كانت إذا قامت في محرابها أزهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض**[٣٢]. وهذا تجسيد للنور الإلهي في عبادتها عليها السلام فالعبادة هنا هي مصداق لمقامها، فقد دل هذا القول على أمرين:

١. مقام عبادتها عليها السلام بالنسبة للخلق وآثار هذه العبادة على من وصفوا بالعبادة أنفسهم وهم الملائكة.
٢. أن هذا النور هو استحقاق لتلك المقامات فهي عليها السلام قد اختارت الخضوع لله تعالى وعرفته حق معرفته.

لذلك فقد عكست هذه التسمية تلك الفلسفة السببية التي تقوم على عبادة الزهراء عليها السلام وآثارها فضلا عن خضوعها للباري عز وجل واستحقاقها كل الكرامات والمقامات الإلهية.

ت: **لأن لها في الجنة قبة ياقوت حمراء**: النوع الآخر من أنواع الفلسفة السببية لاسم الزهراء كما يصوره الإمام الصادق عليه السلام نستطيع أن نصطلح عليه الفلسفة ذات الأبعاد المتعلقة بالعاقبة، أي مقام الزهراء عليها السلام في الجنة، إذ قال عليه السلام جوابا عن سؤال سبب تسمية الزهراء عليها السلام: ((**لأن لها في الجنة قبة من ياقوت حمراء ارتفاعها في الهواء مسيرة سنة معلقة بقدرة الجبار لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها لها مئة ألف باب على كل باب ألف من الملائكة، يراها أهل الجنة كما يرى أحدكم الكوكب الدري الزاهر في أفق السماء، فيقولون: هذه الزهراء لفاطمة** عليها السلام))[٣٣]. والملاحظ أن هناك قواسم مشتركة بين هذا السبب والسبب السابق ولا

سيما ما يتعلق بنورها ﷺ الذي يشبه الكواكب حينما يراها أهل الأرض، وأن تأثر الملائكة وطاعتهم في كلتا الروايتين يدل على وحدة السبب وعلاقته بالعاقبة ومن ثم بمقامات السيدة الزهراء ﷺ.

---

١. الطوسي: الأمالي ص ٦٦٨. وفي رواية قال رسول الله ﷺ: ((**مهر فاطمة في السماء خمس الأرض، فمن مشى عليها مغضبا لها ولولدها، مشى عليها حراما إلى أن تقوم الساعة**)). ينظر النمازي الشاهروردي، مستدرك سفينة البحار ٩ / ٥٠٢، المرعشي: شرح إحقاق الحق ١٠ / ٣٦٧ – ٣٦٨. وعن الباقر ﷺ قال: ((**وجعلت نحلتها من علي** ﷺ **خمس الدنيا وثلث الجنة، وجعلت لها في الأرض أربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر، ونهروان، ونهر بلخ، فزوجها أنت يا محمد بخمسمائة درهم تكون سنة لامتك**)). ينظر النمازي الشاهروردي، مستدرك سفينة البحار ٩ / ٥٠٢.

٢. المرعشي: شرح إحقاق الحق ١٠ / ٣٦٧ – ٣٦٨.

٣. الشورى/ ٢٣.

٤. المجلسي: بحار الأنوار ٢٧ / ٦٢.

٥. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٣ / ١٥٤.

٦. ألمجلسي:بحار الأنوار ٢٩ / ٦٤٥.

٧. المرعشي: شرح إحقاق الحق ١٠ / ٣٦٧ – ٣٦٨.

٨. الشيخ أبو الحسن المرندي: مجمع النورين ص ٤٠.

٩. ينظر احمد فاضل:الأمم القديمة في فكر أئمة أهل البيت ﷺ، الفصل الخاص بأفضلية أهل البيت ﷺ عند الأمم القديمة.

١٠. الشيخ الصدوق: الأمالي ص ٦٨٨. وينظر الطبري: دلائل الإمامة ص٨٠.

١١. الفتال النيسابوري: روضة الواعظين ص ١٤٨. وينظر الطبري: دلائل الإمامة ص٨٠.

١٢. الشيخ الصدوق: الأمالي ص ٦٨٨، الفتال النيسابوري: روضة الواعظين ص ١٤٨.

١٣. القدر (١).

١٤. ص ٥٨١–٥٨٢. وينظر ألمجلسي، البحار ٤٣/ ٦٥، التبريزي الأنصاري: اللمعة البيضاء ص٩٧–٩٨، الشيخ المسعودي: الأسرار الفاطمية ص ٣٩٠ – ٣٩١، السيد محمد علي الحلو، ما نزل من القرآن في شأن فاطمة ﷺ ص ١٢٠.

١٥. فاطر (٣٢).

١٦. الشيخ الحويزي: تفسير نور الثقلين ٤ / ٣٦٤.
١٧. الفيض الكاشاني: التفسير الصافي ٤ / ٢٣٩.
١٨. الفيض الكاشاني:التفسير الصافي ٤ / ٢٣٩.
١٩. القمي: تفسير القمي ٢ / ٢٠٩. وينظر العياشي: تفسير العياشي ٢ / ٢٦٤، فرات الكوفي: تفسير فرات الكوفي ص١٤٥.
٢٠. الفيض الكاشاني:التفسير الصافي ٤ / ٢٣٩. وقد سماه القمي في تفسيره الجاحد٢/ ٢٠٩٨. وقيل المراد أورثناهم الإيمان بالكتب السالفة وكان الميراث انتقال الشئ من قوم إلى قوم. والأول أصح. والاصطفاء الاختيار بإخراج الصفوة من العباد، فاصطفى الله المؤمن يحمل على ثلاث طبقات مؤمن ظالم لنفسه بفعل الصغيرة، ومقتصد بالطاعات في المرتبة الوسطى، وسابق بالخيرات في الدرجة العليا، وهم الذين لم يرتكبوا شيئا من المعاصي، وكل وعد الله الحسنى. ينظر الطوسي:التبيان ٨ / ٤٢٩
٢١. فاطر (٣٣).
٢٢. فاطر (٣٢-٣٣).
٢٣. الشيخ الصدوق: الأمالي ص٦٨٨. علل الشرائع ١/ ١٧٨، الشيخ الطوسي: تهذيب الأحكام ٧ الفتال النيسابوري: روضة الواعظين ص ١٤٨، الطبري: دلائل الإمامة ص ٧٩ – ٨٠.
٢٤. وقال رسول الله ﷺ ((**إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين خطامها من لؤلؤ رطب قوايمها من زمرد أخضر ذنبها من المسك الأذفر عيناها ياقوتتان حمراوان عليها قبة من نور يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها**)). ينظر الفتال النيسابوري: روضة الواعظين ص١٤٨.
٢٥. الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٢٠٣.
٢٦. المازندراني: شرح أصول الكافي ٧ / ٢٢٢.
٢٧. الشيخ الصدوق: الأمالي ص٦٨٨. وينظر الفتال النيسابوري: روضة الواعظين ص١٤٨. الطبري: دلائل الإمامة ص٧٩ – ٨٠.
٢٨. فطم: فطم العود فطما: قطعه. وفطم الصبي يفطمه فطما، فهو فطيم: فصله من الرضاع. وغلام فطيم ومفطوم وفطمته أمه تفطمه: فصلته عن رضاعها.ينظر ابن منظور: معجم لسان العرب ١٢/ ٤٥٤.
٢٩. فرات الكوفي: تفسير فرات الكوفي ص٨١ –٥٨٢، التبريزي الأنصاري: اللمعة البيضاء ص٩٧–٩٨، الشيخ المسعودي: الأسرار الفاطمية ص٣٩٠–٣٩١، السيد محمد علي الحلو، ما نزل من القرآن في شأن فاطمة عليها السلام ص١٢٠.

٣٠. ينظر الشيخ المسعودي: الأسرار الفاطمية ص١١٩.

٣١. الشيخ الصدوق: علل الشرائع ١ / ١٧٩–١٨٠. وقد وردت هذه الرواية أيضا عن جابر بن عبد الله عن الإمام الباقر عليه السلام. ينظر الطبري: نوادر المعجزات ص٨٢.

٣٢. الشيخ الصدوق: علل الشرائع ١ / ١٨١، معاني الأخبار ص٦٤.

٣٣. المجلسي: بحار الأنوار ٤٣ / ١٦. وينظر الشيخ محمد باقر الكجوري: الخصائص الفاطمية ١ / ٢٠٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. البروجردي: الحاج آغا حسين الطباطبائي، ت: ١٣٨٣هـ.

٢. جامع أحاديث الشيعة، مطبعة العلمية، قم ١٣٩٩هـ.

٣. التبريزي الأنصاري،ت١٣١٠هـ.

٤. اللمعة البيضاء،تحقيق سيد هاشم الميلاني ط١، مؤسسة الهادي، قم ١٤١٨هـ.

٥. الحلو، السيد محمد علي، ما نزل من القرآن في شأن فاطمة عليها السلام، ط١، طهران١٤٢١ هـ.

٦. الحويزي، الشيخ عبد علي جمعة العروسي، ت ١١١٢هـ ١٧٠٠م.

٧. تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان، قم، ١٤١٢هـ.

٨. الشاهرودي، الشيخ علي النمازي، ت: ١٤٠٥هـ.

٩. مستدرك سفينة البحار، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي (د.م ١٤١٨هـ).

١٠. ابن شهر آشوب ت ٥٨٨هـ، مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٦هـ١٩٥٦م.

١١. الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ت: ٣٨١هـ.

١٢. الأمالي، تحقيق: مؤسسة البعثة – قسم الدراسات الإسلامية، ط١ (د.م ١٤١٧هـ).

١٣. التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، د.ط، د.م، د.ت

١٤. علل الشرائع، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة الحيدرية، النجف ١٣٨٥هـ١٩٦٦م.

١٥. معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، د.ط (د.م ١٣٧٩هـ).

١٦. الطبري، محمد بن جرير الطبري الشيعي ت ق ٤، نوادر المعجزات، ط١، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ١٤١٠هـ.

١٧. دلائل الإمامة، ط١، مؤسسة البعثة، قم١٤١٣هـ.

١٨. الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، ت ٤٦٠هـ.

١٩. تهذيب الأحكام، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٣، مطبعة خورشيد، طهران ١٣١٤هـ.

٢٠. العياشي، محمد بن مسعود العياشي ت٣٢٠هـ، تفسير العياشي، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران – د.ت.

٢١. الفتال النيسابوري: محمد، ت: ٥٠٨هـ.

٢٢. روضة الواعظين، تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، قم-د.ت.
٢٣. فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي ت٣٥٢هـ، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، ط١، طهران ١٩٩٠.
٢٤. الفيض الكاشاني: المولى محمد محسن: ١٠٩١هـ ١٦٨٠م.
٢٥. الأصفى في تفسير القران، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، مطبعة مكتب الأعلام الإسلامي (د.م، ١٤١٨هـ).
٢٦. تفسير الصافي، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، ط٢، مطبعة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ.
٢٧. القمي، علي بن إبراهيم القمي ت ٣٢٩هـ، تفسير القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، منشورات الهدى، النجف ١٣٨٧هـ.
٢٨. الكجوري، الشيخ محمد باقر (ت: ١٢٥٥).
٢٩. الخصائص الفاطمية، ترجمة: سيد علي جمال أشرف، ط١، انتشارات الشريف الرضي، طهران ١٣٨٠هـ.
٣٠. المازندراني، محمد صالح، ت: ١٠٨١هـ.
٣١. شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ط١، مطبعة دار أحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٣٢. المجلسي، محمد باقر محمد تقي، ت: ١١١١هـ، بحار الأنوار الجامعة لدور أخبار الائمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٣٣. المرعشي، السيد، شرح إحقاق الحق، تحقيق وتعليق السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح السيد إبراهيم الميانجي، قم، د.ت.
٣٤. المسعودي، الشيخ محمد فاضل الأسرار الفاطمية، تقديم: السيد عادل العلوي، ط ٢، قم ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م.
٣٥. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، د.ط، د.م، د.ت.
٣٦. ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، ت: ٧١١هـ.
٣٧. لسان العرب، قم ١٤٠٥هـ.
٣٨. الميرزا النوري، الحاج حسين الطبرسي، ت: ١٣٢٠هـ.
٣٩. مستدرك الوسائل،ت حقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث العربي، ط٢، بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.